المحاضرة السابعة : التاريخ الشفاهي

طريقة مساعدة للمقابلة القائمة على السيرة الذاتية

القص او الحكي , او سرد الحكايات مكون طبيعي من مكونات الخبرة البشرية, فالبشر يتناقلون المعانى من خلال الكلام . وقد استخدم المؤرخون الشفاهيون تراث نقل المعرفة هذا وابتكروا اسلوب بحث مهم يقر بصحة التعبير القائم على الصوت البشري . ومع ان القص له تاريخ قديم , فان تطويع هذه العملية البشرية لتكون طريقة بحث معترفا بها ومعتمدة يعد امرا حديثا نسبيا .

اعتمد التاريخ الشفاهي في سنة 1948 كأسلوب حديث للتوثيق التاريخي عندما بدا المؤرخ الان نفينز الاستاذ بجامعة كولومبيا القيام بالتسجيل الصوتي للسير الذاتية لبعض الاشخاص ذوى الاهمية في الحياة الامريكية ( جمعية التاريخ الشفاهي لأمريكا الشمالية , نقلا عن طومسون 1998 ) .

ويرى بعض الباحثين ان من المفيد التمييز بين " التراث الشفاهي " "والتاريخ الشفاهي " , وذلك باعتبار ان التراث الشفاهي هو المظلة الشاملة التي تندرج تحتها طريقة التاريخ الشفاهي . ويشير مصطلح " التراث الشفاهي " بين كثير من السكان الاصليين لأمريكا الى القصص التي تم تداولها على امتداد اجيال متعددة , والتي قد تتضمن – كذلك – شخوصا او كائنات غير بشرية .من هنا يختلف هذا المصطلح عن الاستعمال الأكاديمي الاحدث لمصطلح " التاريخ الشفاهي " والذي تجمع فيه القصص الشخصية من احد الافراد .

ان طريقة التاريخ الشفاهي تعد نوعا متميزا جدا من المقابلة , لان عملية القص التي تنبنى عليها انما هي عملية من نوع خاص . ذلك انه توجد اثناء عملية السرد لحظات من التنبه والوعى , كما تتحقق في الحالات المثلى من القص الشفاهي لحظات من التعليم والتمكين ايضا .

ان التاريخ الشفاهي نوع خاص من المقابلة المكثفة القائمة على سرد السيرة الذاتية. ففي اثناء مشروع بحثي يستخدم التاريخ الشفاهي يمضى الباحث قدرا كبيرا من الوقت مع مبحوث واحد كي يتمكن من ان يحيط علما بحياته او بجانب معين من حياته . فالتاريخ الشفاهي يتيح للباحثين ان يعرفوا حيوات المبحوثين من وجهة نظر اولئك المبحوثين الشخصية , بمعنى : ما هي الامور التي لها معنى عندهم , وما الذي يعدونه مهما , وما هي مشاعرهم واتجاهاتهم ( الصريحة منها والمضمرة ) , وما هي العلاقات بين الخبرات الحياتية المختلفة او بين المراحل المختلفة من حياتهم .فالمبحوثون يعرضون ما لديهم من وجهات نظر واراء في خبراتهم الحياتية الشخصية . فدراسات التاريخ الشفاهي تتيح فرص المشاركة بين الباحث والمبحوث في توليد المعرفة . وتقدم عملية التبادل هذه فرصا متميزة , وتقييما اخلاقيا مستمرا ( وهو الامر الذي يزداد بروزا واهمية في العصر الالكتروني ) , كما تقدم طائفة من التحديات في مجال التاويل . ونظرا لكون التاريخ الشفاهي طريقة نسوية في الغالب , فانه يتيح لنا الاحاطة بالمعرفة القيمة والخبرة الحياتية الغنية الخاصة بالافراد المهمشين والجماعات المهمشة , التي لو لا ذلك لظلت في وضع لا يسمع لها فيه صوت , كما انه يوفر لنا , بصفة خاصة , طريقة للوصول الى الاصوات المقهورة . وبجانب كون التاريخ الشفاهي يساهم في اثراء المعرفة العلمية الاجتماعية بصورة جوهرية , فان بامكان عملية التاريخ الشفاهي ان تكون خبرة مجزية وداعمة لكل من المبحوث والباحث على السواء .